الذي سيتحول الى بداية فعل اجتماعي في رواية « صيادون في شارع ضيق » .

البطل وصيغة المفرد

تدور احداث الرواية باسرها في ذاكرة امين . ففي شارع معتم نرافق امين في رحلة اكتشافه للمدينة واسترجاعه لتداعيات ذكرياته التي تشكل عصب الرواية . نبدأ به يقابل الشرطي . الذي سئم عمله ، ثم ندخل المقهى وفي طريق الخروج نصادف متسولا ، ونتفحص مع أمين ظله الطويل في الليل ... العلاقة التي يقيمها امين مع عالم الشارع الذي يقوده الى منزل عنايت هانم هي علاقة تماس خارجية . انه يلامس الاشياء والناس من الخارج ، دون ان يقيم لهذا النوع من العلاقات أي نظام ضابط. لا نزال امام الملاحظات الاولية التي ترصف الاشياء الى جانب بعضها ، تصفها دون ان تكشفها . لكن هذه العلاقة ليست سوى المبرر لايقاظ عالم البطل الداخلي ، ايقاظ ذكرياته التي تمتزج بهذا النوع من العلاقة بالعالم ، لتثبت عبث ولا معنى نمط معين من الحياة ، في محاولة لرسم اطر تخطيها .

صيغة المفرد ، تختلط بالذكريات ، بل هي مبررها الوحيد . لذلك فنحن امام بطل واحد ، هو مركز التحولات في الرواية . فالتحولات الخارجية العميقة ، ليست سوى محركات لتفجر زمنه السيكولوجي — الفردي . وانطلاقا من هذا يصالح امين الواقع فيما يحاول تغييره .

الفرد ، هو بطل نموذجي ، تأتي الاحداث الواقعية لتؤكد نموذجيته هذه . انه يمثل فئة اجتماعية — المثقف — تحاول التعامل مع الواقع وتغييره . فأمين هو روائي سيكتب قصة حبه لسمية في رواية مستقلة . وهو هنا ، في مخاطبته لنا ، كأنه يرسم مسودات هذه الرواية ، التي لن تكتب ، بل ستصبح مؤشرا واقعيا في تحرره من كابوس الماضي والتقاليد .

عندما يكون البطل ، فردا — نموذجا ، يتحول العالم الموضوعي الى عالم استبطاني ، وتحتل الذكريات ، حيز الممارسة ، فلا موضوعية الراوي هي النتمة المنطقية للاموضوعية اطار الرواية . الاشخاص الاخرون الذين يشاركون امين في عالم الرواية، لا نتعرف عليهم الا في ذاكرته او في استنطاقه لهم . من هنا يحتل الحوار الاستنطاقي هذا الحيز الهام في رواية جبرا . الحوار ليس سوى محاولة ذرائعية ، لوصف نمط من العلاقات الاجتماعية، وللاشارة الى المنزلق الذي وصل اليه امين ورفاقه في المقهى ، حين يقعون ضحية سكونيتهم . هكذا تكون الرواية موقفا ، يتحايل على نفسه بالشكل ، وهذا ما يقوله جبرا بشكل واضح في النص : « اما الرواية فكنت ابغي منها ما اروح به عن ضيق صدري . كما انني جعلت منها ذريعة للتعبير عما اريد قوله ، اذ قسمت نفسي الى اشخاص كثيرين ، يمثل كل منهم جزءا من هذه **النفس الملأى بالمتناقضات** » . والموقف هذا هو من ناحية اخرى محصلة تجربة واقعية ، لكن التجربة لا تتكلم عن نفسها بلغتها الخاصة . انها في مكان استرجاع نفسها من خلال الذاكرة . لذلك تأتي التجربة جاهزة ، اي ان معاناة الشكل الروائي لا تزال على طرف نسالة الشكل . انها تريد فقط تأكيده الاولي من خلال التخلي النهائي عن الوعظية وحكمة القصة . اي انها في سبيل تأكيد الشكل الفني ، تتخلى عن معاناة صياغته. فتأتي الاحداث موضعة في الذات وشبه نهائية . ولا ينقذ سكونية هذا التنميط القصصي سوى صوت الحريق والفصل الختامي الذي يعيد صياغة دلالة الرواية بشكل جديد .

بين ماضيين

يعيش امين في ماضيين . ماضيه الشخصي وماضي اسرة ياسر العريقة . في منزله وفي الجريدة التي يعمل فيها يضع ماضيه بشكل دائم ،فالعلاقة التي ربطته بسمية ، تتحول الى حزن يومي . وفي منزل ال ياسر يعاني كل مساء محاولة كتابة تاريخ اسرة اقطاعية عريقة . يعيش مع عنايت هانم بين الاوراق القديمة والملفات المليئة بالغبار . الاساسي في بنية الرواية هو هذا التوازي الذي يقيمه جبرا بين ماضيين يتقاطعان في شخصية امين. الماضي الاول هو **ماض ذاتي** . حب يبدأ تحت اعصار الريح والامطار بفتاة تنتمي الى طبقة اجتماعية اخرى (برجوازية كبرى) ويستمر هذا الحب في تمرد هذه الطبقة على نفسها ، تمرد سمية على والديها وهربها مع امين والزواج منه. لكن هذا النمط الرومانسي من العلاقة ينهار وحده